

شخصية العدد

من أعلام حاضرة بجاية
في القرن الثامن الهجري

الإمام أبو زرع عبد الرحمان الوغليسي

من أعلام حاضرة بجاية في القرن الثامن الهجري

الإمام أبو زينة عبد الرحمان الوغليسي (ت 786هـ / 1384م)

د. حفيظة بلميهوب

- جامعة الجزائر 1 -

المقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

قبل التطرق إلى الإمام الوغليسي- عليه رحمة الله- العالم الفقيه الذي تجلت فيه أخلاق القرآن فجمع بين العلم الواسع والدين المتين كما شهد له به العلماء. ارتأيت أن ألقى نظرة على البيئة التي نشأ وترعرع في ربوعها الإمام عبد الرحمان الوغليسي وهي حاضرة بجاية.

حاضرة بجاية ومكانتها: لقد كانت بجاية من أعظم مدن المغرب من حيث الموقع والمناخ، وقد سجّل وصفها شمس الدين الدمشقي (ت 727هـ) فقال: "بجاية مدينة حسنة البناء طيبة الغذاء ولها نهر يهيج تدخله المراكب من البحر إلى البلد، بناها الناصرين علناس سنة سبع وخمسين وأربعمائة...".

وقال الزواوي: "وبجاية كانت من أعظم المدن فيها أبو زكريا يحيى الزواوي صاحب العقابة والشيخ الوغليسي والشيخ الصباغ وعبد الحق الإشبيلي وأبو حامد الصغير صاحب التذكرة وغيرهم"⁽¹⁾

كما كانت بجاية من أهم الحواضر العلمية، واحتلت في الميدان الفكري مكانا واسعا في تاريخ المغرب عامة والجزائر خاصة، حيث عرفت ازدهارا علميا واسعا، وأصبحت مدارسها تخرج أعظم الكفاءات، قال الغبريني في عنوان الدراية بعد أن ترجم لبعض أهل القرن السادس الهجري: "وقد بقي كثير من أهل المائة السادسة ممن لهم جلال وكمال ولكن شرط الكتاب منع من ذكرهم..." وقد قال أبو علي المسيلي: "...أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا ما منهم من يعرف أبا علي الحسن بن علي المسيلي من يكون؟"، وتظهر مكانة بجاية أيضا من خلال تصفح مشيخة الغبريني رحمه الله⁽²⁾ ضمن كتاب "عنوان الدراية"، حيث ذكر فيه شيوخه من الأعلام الذين تعلموا في مدرسة بجاية وبها أنفقوا جلّ أوقاتهم في الدرس والمدارسة؛ نذكر منهم على سبيل المثال: أبو محمد عبد العزيز الذي كان يلقب بخزانة مالك رضي الله عنه⁽³⁾. قال الغبريني: وكانت قراءته ببجاية؛ لقي بها مشايخ، كالشيخ اللفنتي⁽⁴⁾؛ كل ذلك جعل من بجاية قبلة لطلاب العلم جاؤوها من مختلف الحواضر الإفريقية والمغربية لدراسة مختلف التخصصات، كما كانت مقصد الكثير من علماء الأندلس النازحين، الذين اختاروا بجاية فاستوطنوها واستقروا بها، فأفادوا أهلها واستفادوا منهم، ومن هؤلاء: الشيخ أبو مدين شعيب⁽⁵⁾، وعبد الحق الإشبيلي الفقيه المحدث،

(1)- الرحلة الورتلانية (نزهة الأنظار): الورتلاني: 28-26.

(2)- عنوان الدراية: برنامج مشيخة المؤلف: 355 وما بعدها

(3)- عنوان الدراية: 63

(4)- ترجمته بعنوان الدراية: رقم 80، ص 260.

(5)- ترجمته في عنوان الدراية: 22.

الذي سكن بجاية وألف فيها معظم كتبه، وبقي فيها إلى أن توفي بها رحمه الله، ومن الذين رحلوا إلى بجاية وتعلموا بها وعلموا الشيخ زروق البرنسي الفاسي فامتزجت الثقافة المغربية والأندلسية وتشكلت من خلالها المدرسة البجائية التي ظل عطاؤها غزيرا لعدة قرون.

لقد كانت بجاية مركز إشعاع علمي وأدبي كبير؛ فيها خمسمائة صبيّة يحفظن المدونة -كما ذكر ذلك الورتلاني في رحلته - وأما اللواتي يحفظن ابن الحاجب فلا يحصي عددهنّ إلا الله⁽¹⁾.

وهي التي وصفها الشريف التلمساني حين دخلها في القرن الثامن فقال: "... وجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها"، وأشاد بها عالم وهران أحمد الهواري فقال:

لو وصفت لك ما رأيت في بجاية ** وهي بلد العلم وترابي حقيقيا⁽²⁾.

في هذه البيئة الطاهرة والأرض الطيبة نشأ وترعرع الإمام عبد الرحمان الوغليسي العالم الرباني والإمام الفقيه الذي سنتعرف على حياته الذاتية والعلمية وعلى آثاره ومآثره من خلال المباحث التالية.

المبحث الأول: التعريف بحياة الشيخ عبد الرحمان الوغليسي الذاتية والعلمية:

هو الإمام الفقيه أبوزيد عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي نسبة إلى بني وغليس التي ولد ونشأ بها وأخذ عن أعلامها.

1 -) نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورتلانية): للشيخ الحسين بن محمد الورتلاني: ورقة: 29 .

2 -) روضة النسرين : ابن صعد: 7-8 مخطوط بالحامة (الجزائر) تحت رقم: 2596.

كان عالماً فقيهاً أصولياً ومفسراً بل كان صاحب مدرسة سبقت مدرسة تلمسان ؛ قال ذلك أحد المؤرخين الجزائريين بعد أن ذكر أبرز المنتجين في العقائد وهما عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي : "ولكن بجاية قد سبقت الجزائر وتلمسان بمدرسة عبد الرحمان الوغليسي (ت786هـ) الذي تتلمذ على يده وعلى تلامذته جُلَّة من العلماء منهم محمد الهواري وعبد الرحمان الثعالبي وعيسى بن سلامة البسكري وغيرهم فكانت الوغليسية في الفقه موضع دراسة واهتمام اللاحقين لفترة طويلة".

والإمام عبد الرحمان الوغليسي كان واحداً من العلماء والفقهاء الجزائريين الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى؛ انتهج منهج سلفه الصالح، وقد تخرَّج على يديه العديد من العلماء الفطاحل كما ذكر ذلك الورتلاني والثعالبي وغيرهما.

شيوخ وتلامذة الوغليسي:

أولاً: شيوخ الوغليسي

تلقى الوغليسي العلم ببجاية على يد علماء أجلاء نذكر منهم : أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي، وأحمد بن عيسى بن سلامة البجائي وهو من طبقة ابن إدريس.

وزيادة في الفائدة نقف وقفة مع هذا الإمام الرباني الفقيه لنرى خصاله التي ورّثها لتلاميذه وتلاميذ تلاميذه، والتي بقيت تنتقل وتورث من جيل إلى جيل لنذكر مدى التأثير والتأثير الذي كان عليه علماؤنا عليهم رحمة الله.

فأبو العباس أحمد بن إدريس البجائي هو الإمام العلامة الصالح المحقق كبير علماء بجاية في وقته. كان ورعاً زاهداً جليلاً؛ ذكره ابن خلدون في معرض كلامه عن القاهرة قائلاً: "سألت شيخنا أبا العباس بن إدريس كبير العلماء

بجاية..."⁽¹⁾ وذكره أيضا ابن فرحون وأثنى عليه كثيرا. كان واحد قطره في حفظ مذهب مالك عليه رحمة الله، كما قال التنبكتي، متفننا في المعارف والعلوم، جمع بين العلم الغزير، والدين المتين. وذكر الشيخ عيسى بن سلامة في مناقبه: أنه ثقة، توفي بعد الستين وسبع مئة (بعد 760هـ)⁽²⁾.

من أهم آثاره: تعليق على البيوع من مختصرات ابن الحاجب، وعلق صاحب النيل بقوله: "بل له شرح على ابن الحاجب نقل عنه الناس كأبي العباس القلشاني"⁽³⁾ في شرحه، والإمام محمد بن بلقاسم المشدالي في اختصاره لمختصر ابن عرفة وغيرهم" وقد نقل عنه أيضا ابن عرفة وسماه الفقيه الصالح.

ومما أثر عن الإمام ابن إدريس اهتمامه بأمر الصلاة وإقامتها؛ لأنها عماد الدين والركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وإقامتها إقامة للدين وتضييعها هدم لركن عظيم من أركان الإسلام، وهي سبب الفلاح والنجاح كما قال تعالى: قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون"⁽⁴⁾ وختم تعالى أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال: "والذين هم على صلواتهم يحافظون"⁽⁵⁾ ثم قال في ثمرة تلك الصفات "أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون."⁽⁶⁾، ولما رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أنه قال: «بلغني

(1)- تاريخ ابن خلدون: 7/559

(2) - نيل الابتهاج: 50؛ درة الحجال في أسماء الرجال: ابن القاضي: 1: 80-81؛ تعريف الخلف برجال السلف: 34؛ شجرة النور: 1: 233.

(3) - القلشاني: هو أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني نسبة إلى قلشانة -وهي قرية من نواحي تونس- القاضي الفقيه الحافظ والخطيب أخذ عن ابن عرفة وابن مهدي عيسى الغبريني من آثاره: شرح الرسالة وابن الحاجب (ر: درة الحجال: 1: 81؛ الحلل السندسية: 1: 634).

(4) - سورة المؤمنون الآية 1 و2.

(5) - سورة المؤمنون الآية 9.

(6) - سورة المؤمنون الآية 10-11.

أَنَّ أَوَّلَ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ الصَّلَاةُ. فَإِنْ قُبِلَتْ مِنْهُ، نُظِرَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عَمَلِهِ. وَإِنْ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ، لَمْ يُنْظَرْ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ»⁽¹⁾.

وَعَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ: "إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ مَنْ حَفِظَهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ..."⁽²⁾

ومع اهتمامه ومحافظته على الصلاة كان رحمه الله كثير النوافل، لما في ذلك من تربية النفس ونيل القرب من الله وحبّه كما ورد في الحديث: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربّه قال: "ما تقرب إلي عبدي بأحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها.." رواه البخاري.

2- أحمد بن عيسى بن سلامة البجائي⁽³⁾ وهو في طبقة ابن إدريس، فقيه، عالم أخذ عنه الوغليسي وأبو القاسم المشدالي وأبو الحسن المنجلاتي وغيرهم وله فتاوى. قال صاحب نيل الابتهاج: "لم أقف على تاريخ وفاته وولادته"⁽⁴⁾

ثانياً: تلامذة الإمام الوغليسي

وعن الإمام الوغليسي أخذ العلم عدد غفير من الفقهاء والعلماء، نذكر منهم:

- 1 - موطأ مالك: الصلاة، جامع الصلاة، رقم 598، تحقيق محمد الأعظمي (2/ 243).
- 2 - موطأ مالك، باب وقوت الصلاة رقم 9 (2/9).
- 3 - نيل الابتهاج: 51
- 4 (تعريف الخلف: 2/ 73).

محمد بلقاسم بن عبد الصمد أبو عبد الله الزواوي المشدالي أصلاً، فقيه بجاية وإمامها ومفتيها من حقاظ المذهب المالكي. أخذ العلم عن الوغليسي وأحمد بن عيسى البجائي وغيرهما، وعنه كثير من الطلبة منهم: ابنه ومحمد بن عمر الماللي قال عنه المجاري عند ذكر شيوخه: "...وممن قرأت عليه ببجاية الشيخ الكبير النظار أبو القاسم المشدالي تلميذ الإمام العلامة الورع الزاهد أبي زيد عبد الرحمان الوغليسي، قرأت عليه حظاً وافراً من بيوع ابن الحاجب بالجامع الأعظم..." (1)

وقال عنه السخاوي: "كان إماماً كبيراً مقدماً على أهل عصره في الفقه وغيره، ذو وجهة عند صاحب تونس، أمّ وخطب بالجامع الأعظم ببجاية وتصدّر فيه وفي غيره من المساجد للتدريس والإفتاء".

من آثاره: تكملة حاشية الوانوغي على المدونة، ومختصر البيان والتحصيل لابن رشد.

2- الهواري محمد بن عمر الهواري، عالم وهران ورئيس الزهاد والأتقياء؛ كان كثير السياحة شرقاً وغرباً، أخذ بفاس عن موسى العبدوسي والقباب وبجاية عن شيخهما ابن إدريس وعبد الرحمان الوغليسي. وكان الإمام محمد الهواري يكثر الثناء على أهل بجاية لمحبتهم الغرباء والفقراء وتحفظهم في معاملتهم عن الحلال، وأخذ بمصر عن الحافظ العراقي، وسافر للقدس وجال ببلاد الشام، ثم عاد إلى وهران فاستقرّ بها مثابراً على العلم والعمل والصدق في الأحوال وانتفع به كثير من العلماء.

1-) برنامج المجاري لأبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي (ت862هـ) ص: 116.

قال بعض العلماء: إنه كان آية في فنونه وكراماته، توفي سنة ثلاث وأربعين وثمان مائة(1).

المبحث الثاني: أعمال الوغليسي وأثاره:

أولاً: أعمال الوغليسي: من خلال ما ورد في كتب التراجم والآثار يمكن تقسيم أعمال الوغليسي إلى ما يلي:

- التدريس وهو الذي غلب عليه.

- الفتوى.

- الإمامة.

- التأليف .

1 -التدريس: شغل الإمام عبد الرحمان الوغليسي منصب التدريس والتوجيه والتربية والتعليم فكان رحمه الله المدرس والمربي الفاضل بل كان المدرسة التي خرّجت الكثير من الأعلام وإن كان التاريخ لم ينصفه -وهذا شأن أغلب علماء الجزائر - بأن لم يوفه حقّه فإننا وجدنا بعض الآثار الدالة على ذلك وهي شهادات معاصريه من طلبته الذين زاروا بجاية وأخذوا عنه في حياته وعن تلامذته من بعد مماته. وقد اهتموا بمقدمته الفقهية حفظاً وكتابة وشرحاً وتدرّيساً بعد موته، كما اهتموا بفتاويه حيث كانت تصله الأسئلة من مختلف البلاد رغم أنّه لم يعرف عنه أنه خرج من الجزائر-شأنه شأن الإمام الشاطبي رحمه الله.

وقد أخذ عنه العلم وشهد له به كل من قصد بجاية التي كانت آنذاك من أهم الحواضر العلمية، فقد ذكره كما قلنا عالم وهران وتلميذه محمد الهواري

(1)- كفاية المحتاج:404.

بأن قال: إنه قرأ على أعلامها الجلّة -أي بجاية- وعيّن منهم الإمامين عبد الرحمن الوغليسي وأحمد بن إدريس⁽¹⁾.

وقال الثعالبي عندما زار بجاية سنة 802 هـ " فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في علمهم ودينهم وورعهم أصحاب الشيخ الفقيه الزاهد الورع أبي زيد عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي وهم يومئذ متوافرون..."⁽²⁾

2- الفتوى: لقد كان الإمام الوغليسي عليه رحمة الله إلى جانب اهتمامه بالتربية والتعليم والتدريس يجيب عن أسئلة المستفتين التي كانت تأتيه من مختلف البلاد، فكان بحق مصباحاً أضاء قلوب الحيارى وبَيّن لهم الحق. كما كان سيفاً صارماً على البدع التي انتشرت آنذاك.

وفتاوي الوغليسي أشار إليها كل الذين ترجموا له مثبتين له فتاوى مشهورة؛ وهذه الفتاوى ما زالت للأسف مبعثرة في ثنايا كتب النوازل، مثل كتاب المعيار المعرب للونشريسي، والدرر المكنونة للمازوني، والجواهر المختارة للزياتي وغيرها وقد جمعها قصد دراستها والاستفادة منها.

واتبع الوغليسي في فتاويه منهجاً يمكن إيجاز أهم معالمه فيما يلي:

اختيار المشهور من الأقوال في المذهب، فقد كان يقول: "لست ممن يقلّد غير المشهور الذي عليه القضاء والفتيا من السلف والخلف، فأعمل على جادة أئمة المذهب وأحذر مخالفتهم".

ويصرح بأن أسوته في ذلك الإمام المازري كما في المسألة التي وردت عليه في الطلاق حيث قال: "لست ممن يقلّد غير المشهور الذي عليه القضاء والفتيا

1- روضة النسرین: ابن سعد: 7- 8.

2- الجامع : عبد الرحمان الثعالبي: 03- 13؛ الجواهر الحسان: 4/ 951.

من السلف والخلف.....وقد قال المازري: "لا أفتي بغير المشهور ولا أحمل الناس على غيره".

وعلل ذلك بقوله: "وقد قلّ الورع والتحفظ عن الديانة من كثير ممن يتجاسر على الفتيا من غير بصيرة ولو فتح باب مخالفة مشهور المذهب لاتسع الخرق وهتك حجاب هيبة المذهب، وهذا من المفسدة التي لا خفاء فيها وهذا في زمانه فانظر في أي زمان أنت"⁽¹⁾.

3- الإمامة: كان الإمام الوغليسي عليه رحمة الله شيخ الجماعة ومفتيها ببجاية.

قال الحفناوي: "... ومن خط صاحبنا الشيخ محمد بن السعيد بن زكري الزواوي أبوعبد الرحمان بن أحمد الوغليسي شيخ الجماعة ببجاية تلامذته علماء أجلاء مشهورون"⁽²⁾

4- التأليف: لقد كان تركيز الوغليسي-كما أسلفنا-منصبا على التدريس والتربية والتعليم -شأن جلّ علماء الجزائر-، لذلك لم يؤثر عنه في التأليف إلا «الجامعة في الفقه»، والتي تعرف «بالمقدمة الوغليسية». و«رسالة في الإسلام والإيمان».⁽³⁾

(1) - الدرر المكنونة: أبو زكريا يحيى المغيلي: 1/ 319 - 320؛ المعيار: الونشريسي: 6/ 327 (تحت عنوان: ما للشيخ في التزام المشهور في الفتاوى والأحكام) وفي التزام مشهور المذهب نجده أيضا مذهب الشاطبي حيث قال: حسبنا فهم أقوال العلماء والفتوى بالمشهور وليتنا ننحصر برأس لا لنا ولا علينا (الموافقات: 4/ 146).

(2) تعريف الخلف برجال السلف: 72.

(3) - رسالة الإيمان والإسلام: ذكرها بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، وقيل: هي موجودة في مجلة المراسلات الإفريقية لسنة: 1884م رقم: 35 ص: 184.

ثانيا: آثار عبد الرحمان الوغليسي:

- المقدمة الوغليسية وتعدّ من بين المصنفات المهمة وقد لقيت اهتماما واسعا في عصره والعصور التي تلتها، وهي عبارة عن مختصر في فقه العبادات اقتصر فيها الوغليسي على بيان قاعدة الإيمان وأحكام الطهارة والصلاة والصيام مع التركيز على الجانب الروحي وعلى مقاصد هذه الأحكام .

وقد لقيت المقدمة الوغليسية قبولا وشهرة واسعة - وهذا من بركة وصدق وإخلاص مؤلّفها عليه رحمة الله - فكانت محل اهتمام السابقين، وعمدة الناشئين المبتدئين كما ذكر ذلك في مقدمة شرح الزواوي للصباغ حيث قال: (...فإنه لما كان الكتاب المسمّى بالوغليسية الذي وضعه العلامة الراسخ، الصالح الورع الزاهد المتبع سيدنا أبوزيد عبد الرحمان الوغليسي مشتملا على المهم اعتنى بقراءته والعمل بما فيه من نور الله في بصيرته وحسن سريرته، شيخنا المشتهر بالعلم والصلاح بين الأنام، سيدنا أبو محمد ابن الشيخ أبو إلياس يحي العبدلي كما اعتنى بقراءته الشيخ الصالح العالم الورع سيدي أبو محمد عبد الكريم بن علي الزواوي)⁽¹⁾.

وقفه مع المقدمة الوغليسية: وارتأت في هذا المقام أن أقف وقفة مع هذه المقدمة الجامعة التي سلك فيها الإمام الوغليسي -عليه رحمة الله- منهج الجمع بين الأحكام ومقاصدها وحكمها وأسرارها، حيث أنه مع عرضه للأحكام الفقهية ركّز على مقاصد الشارع من هذه الأحكام فبيّن أسرارها وحكمها ، فجاء كتاب " الوغليسية " مخاطبا كلا من الجسم والروح، كلا من العقل والقلب ، بأسلوب بسيط ومؤثر ، وهذا في الحقيقة أسلوب القرآن الكريم الذي يذكر مع الأحكام مقاصد هذه الأحكام، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ

1 -مقدمة مختصر شرح عبد الكريم الزواوي على الوغليسية للصباغ ، الموسوم بعمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان (مخطوط).

كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ⁽¹⁾، وقوله: "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"⁽²⁾، وقوله تعالى: "ولكم في القصص حياة يا أولي الأبصار لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"⁽³⁾ وغيرها من الآيات والأحاديث.

لقد أعاد الوغليسي جمع الأمة بين عقلها وقلبها بعدما فصل بينهما، وقد تسبب هذا الفصل في الضعف الذي استشرى في الأمة وأبعدها عن دينها، وجعل أفعالها تخالف أقوالها مع أن الله تعالى قد شدد النكير على هؤلاء من خلال قوله: "يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"⁽⁴⁾.

قال الوغليسي -رحمه الله- بعد أن ذكر أحكام الصلاة من فرائض وسنن ونوا قض: (ويجتهد الإنسان في المحافظة عليها ويحضر قلبه، ويكون خاشعاً، خاضعاً لله تعالى ويدفع عن نفسه شواغل الدنيا قال صلى الله عليه وسلم "لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا"، فالصلاة ليست مجرد عبادة يؤديها المسلم بأحكامها، إنما هي الصلاة التي تربط الإنسان بخالقه. قال صلى الله عليه وسلم: "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"⁽⁵⁾. فينفذ من خلالها إلى عالم النور الذي

1 - سورة البقرة، الآية: 183.

2 - سورة العنكبوت، الآية: 45.

3 - سورة البقرة، الآية: 179.

4 - سورة الصف، الآيتين: 2 و3.

5 - رواه النسائي في كتاب عشرة النساء تحت رقم: 3878. وأحمد في باقي مسند المكثرين تحت رقم: 11845 وأخرجه ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: 4 / 424. تحت رقم: 1809. والحديث بلفظ: { حب إلي من دنياكم الطبيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة }. وقال معلقاً عن الحديث: (إن الحديث عندي صحيح بهذا الإسناد فإن سائر رجاله ثقات كلهم معروفون، وأما يحي هذا فروى الخطيب عن ابن معين أنه ثقة، وعن صالح بن جزرة: صدوق وكان من العباد، ووثقه أبو زرعة وابن حبان كما في الميزان واللسان. أنظر: (السلسلة الصحيحة 4/ 424).

تدركه الأرواح: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّي يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ } .. (1).

واسترسل الوغليسي عليه رحمة الله في بيان الأحكام مركزا على تربية النفس وهو يذكر الأحكام، فقال في حكم الصوم : (... وَيُعْظَمُ شهر رمضان ويجتهد الإنسان في اجتناب الآثام وفي ملازمة التقوى أعظم ممّا يكون في غيره . .. والإمساك عن جميع المفطرات، ويجتهد المرء في تقوى الله العظيم ، فيحفظ جوارحه من جميع المعاصي والمخالفات ويتفقدوها في كل الأوقات ...) (2)

ولأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة عددّ الوغليسي رحمه الله المعاصي التي ترد على القلب ليتمكن العبد من تجنبها واتقائها، فقال: (والمعاصي مفترقة على الجوارح ، فمن الجوارح القلب فيؤمر بالإخلاص في جميع العبادات واليقين في كل ما يجب الإيمان به، والتقوى، والصبر، والقناعة، والزهد، وهو أن يطرح حبّ الدنيا من قلبه ويرغب في الآخرة) (3).

ثم قال: (ومما ينهى عنه مما يتعلق بالقلب: الغلّ والحقد والحسد والبغي والغضب إلا إذا كان لله عزّ وجلوتعظيم الأغنياء لغنائهم واحتقار الفقراء لفقرهم والفخر والتنافس في الدنياوالاشتغال بعيوب الناس عن عيوب نفسه ...)، ثم قال : (ومن الجوارح اللسان، وهو من أصعب ما على العبد وأكثر فسادا. فقد روى: { أَنَّ الْجَوَارِحَ تُصْبِحُ تَسْتَكِي بِاللِّسَانِ وَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا }) (4).

1- سورة النور، الآية: 35.

2- الوغليسية " أ " [11 - 12] .

3- المخطوط نفسه " أ " [11 12] .

4- أخرجه النووي في رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : 551 . تحت رقم : 1518 . عن أبي

ومما ينهى عنه الغيبة والنميمة ومنها اليد فيحفظها من ضرب ما لا يحل، حتى الهيمة ومنها الرجل فيحفظها من أن يمشي بها فيما لا يحل، ومنها البطن يحفظه من الحرام والشبهات فلا يأكل ولا يلبس ولا يشرب إلا حلالاً، فالحلال له بركة عظيمة ونور وصفاء للقلب (1)

ولأن الوغليسي مُعلّم ومرب فقد نَبّه إلى أن الإنسان قد يقع في المعاصي فبيّن العلاج منها فقال: (فمن وقعت منه معصية فواجب عليه أن يتوب ولا يؤخر؛ لأن تأخير التوبة معصية (2) أخرى (3))

ولأهمية المقدمة الوغليسية قد انبرى لشرحها كثير من الأعلام نذكر منهم:

1- الشيخ عبد الكريم الزواوي حيث شرحها في شرح كبير ثم قام الشيخ عبد الرحمن الصباغ باختصاره في عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان وقد حقّق هذا الشرح من قبل طلبة العلم.

سعيد الخدري رضي الله عنه قال: {إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان وتقول: اتق الله فينا فإننا نحن بك فإن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا}. رواه الترمذي. وأخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير 1/ 124 . تحت رقم : 351 . وقال حسن رواه الترمذي وابن خزيمة .

(1)- الوغليسية "أ" [ل 14] .

(2) - إن الإسراع إلى التوبة من المعاصي واجب كما ذكر الوغليسي وتأخير التوبة يعتبر معصية أخرى .

(3)- الوغليسية : نسخة "أ" [ل 14] .

2- الشيخ زروق البرنسي أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى⁽¹⁾ الفاسي (ت 899هـ).

3- الإمام محمد السنوسي⁽²⁾ غير أن تزامم أشغاله حالت دون إكماله.

4- وشرحها أيضا ابن عبد الكريم بن محمد المغيلي؛ وتوجد نسخة منه في المغرب في مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء تحت رقم (315/19) ورقمها الترتيبي (297).

- ومن آثار الوغليسي أيضا: رسالة في الإيمان والإسلام؛ ذكر ذلك "بروكلمان" في كتابه تاريخ الأدب العربي وهذه الرسالة موجودة في مجلة المراسلات الإفريقية لسنة 1884م رقم: 35 ص: 184.

3 - الفتاوى، وهي فتاوى مازالت متناثرة في كتب النوازل، وقد قمت بجمعها من الدرر المكنونة والمعارف والجواهر المختارة قصد دراستها.

(1)- ابن مريم: البستان: 45، 47؛ التنبكي: نيل الابتهاج: 84. وابن فرحون: الديباج: 71؛ ابن مخلوف: شجرة النور: 267؛ ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال: 1 / 91؛ كحالة: معجم المؤلفين: 1 / 155؛ بدر الدين القرافي: توشيح الديباج: 62؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس: 64؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي: 1/218، 217 ط/3: (1395 هـ)؛ أبو عمران الشيخ: مشاهير علماء المغاربة: 251.

(2)- السنوسي: هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي الحسني من كبار علماء تلمسان وزهادها في عصره، نشأ بتلمسان وأخذ عن الحسن أبركان وأبو نصر الزواوي وغيرهما، (ولد 832 هـ وت 895 هـ). من آثاره: العقيدة الصغرى والعقيدة الوسطى، وشرح صحيح البخاري لم يكمله وشرح جمل الخونجي في المنطق وشرح الوغليسية لم يكمله وغيرها من الكتب. تخرج على يديه الكثير من العلماء منهم: ابن سعد وأبو القاسم الزواوي. ترجمته أحمد البلوي: الثبت: 236، 437، ذكره ضمن شيوخه: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف: 187؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر: 189؛ د: عمران الشيخ: معجم مشاهير المغاربة: 293).

المبحث الثالث: مآثر الوغليسي وآراء الناس فيه:

لقد أثنى كثير من العلماء على الإمام الوغليسي وnectوه بالإمامة في الفقه والتفسير وبالورع والزهد.

قال شارح الوغليسية عبد الكريم الزواوي في مقدمة شرحه: "...والوغليسية الذي وضعه العلامة العالم الراسخ في مرضاة الله، الذي عمّت أنواره ولم تزل ظاهرة آثاره الصالح الورع الزاهد المتبع سيّدنا أبوزيد عبد الرحمن الوغليسي"⁽¹⁾ وقال أبو إسحاق التونسي عند كلامه على مسألة المدونة في كتاب أمهات الأولاد من تعليقاته "...وقد سمعت بعض فقهاء العصر يحكي عن كل واحد من الشيخين الإمامين العالمين الفاضلين أبي زيد عبد الرحمن الوغليسي قدوة بجاية ومفتيها وأبي مهدي عيسى الغبريني..."⁽²⁾

وقال الورتلاني: والشيخ عبد الرحمان الوغليسي صاحب التأليف المعلوم في الفقه الذي شرحه عبد الكريم الزواوي شرحا كبيرا فيه من العلوم ما يغني الناظر عن غيره.

- وقال الحفناوي نقلا عن ابن زكري: "...و من خط صاحبنا الشيخ محمد السعيد بن زكري الزواوي ما نصه: الفقيه الأصولي المحدث المفسر عمدة أهل زمانه أبوزيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي شيخ الجماعة ببجاية تلامذته علماء أجلاء مشهورون..."

وقال الثعالبي عند تفسيره لقوله تعالى: "ألا إلى الله تصير الأمور" رحلت في طلب العلم أواخر القرن الثامن ودخلت بجاية أوائل القرن التاسع فلقيت بها

1 - مختصر عمدة البيان: عبد الرحمن الصباغ: 1 (مخطوط الحامة - الجزائر- تحت رقم: 596.

2 - الدرر المكنونة في نوازل مازونة: أبوزكريا يعي المغيلي المازوني 2 : 156.

الأئمة المقتدى بهم في العلم أصحاب سيدي عبد الرحمن الوغليسي متوافرين
فحضرت مجالسهم" (1)

وقال في كتاب الجامع: "...أصحاب الفقيه الزاهد أبي زيد عبد الرحمن بن
أحمد الوغليسي... وهم يومئذ متوافرون وأهل علم ووقوف عند الحدود ، لا
يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم وسلك أتباعهم مسلكهم" (2).

خاتمة: ونخلص فيها إلى تلخيص أهم النقاط التي خرجنا بها بعد تتبع حياة
الإمام الوغليسي وآثاره ومآثره فيما يلي:

1 - مكانة الإمام الوغليسي الرفيعة بين علماء عصره والذين جاؤوا من
بعده فقد كان واحدا من العلماء والفقهاء الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى؛
انتهج منهج السلف الصالح وتخرج على يديه العديد من العلماء الفطاحل كما
ذكر ذلك الحسين الورتلاني والثعالبي وغيرهما.

2 - الإمام الوغليسي من العلماء الربّانيين (3)، والمرتبين المخلصين الذين
ساهموا بقسط وافر في مجال التربية والتعليم بل كان المدرسة التي خرّجت
الأجيال.

1 - (الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن الثعالبي: 4: 159 (تحقيق عمار طالبي).
2 - (كتاب الجامع: عبد الرحمن الثعالبي: 33-30) مخطوط الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم:
3155 ؛ الحلل السندسية: الوزير السراج: 1: 611؛ الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين
الحفصية و التركية: 141 (مجلة الأصاله)

3 - (الرباني: هو الذي يعلم ويعمل وعليه يشير قوله تعالى: "ولكن كونوا ربانيين بما كنتم
تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون" آل عمران/79، وفسر ابن عباس الرباني بأنه الحكيم الفقيه
"ذكره البخاري معلقا في كتاب العلم من صحيحه وقال ابن حجر في الفتح: وصله ابن أبي عاصم
بإسناد حسن 1/211 ، قال ابن الأعرابي: "لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالما معلما عاملا" انظر
فتح الباري: 1/211.

والمقصود هو التدرج في التعليم ومراعاة ظروف المتعلمين وقدراتهم والترقي بهم من درجة إلى
أخرى (في فقه الأولويات: القرضاوي: 55)

3 - وكان كتابه الوغليسية موضع دراسة الطلبة المبتدئين لفترة طويلة من الزمن، يشهد لذلك كثرة نسخها التي تفرقت في مختلف مكتبات العالم بالإضافة إلى الشروح التي وضعت عليها.

4 - للإمام الوغليسي جهود فعالة في مجال الإصلاح ومحاربة البدع والخرافات في ذلك الزمان، ويظهر ذلك جليا في فتاويه التي تعد ثروة فقهية جيدة ووثيقة تاريخية قيمة لمعرفة الأوضاع في ذلك العصر.

5 - كتاب الوغليسية يُعدُّ ثمرة علم الإمام الوغليسي العالم الرباني، وضعه لينتفع به أبنائه وطلبته.

6 - إنَّ ثمرة العلم بالقرآن والسُّنة العمل أما من حفظ الحروف ولم يعمل فقد ضيَّعهما.

7 - مكانة بجاية في ذلك العصر فقد كانت بلد العلم وقبلة طلاب العلم، وعليه وجب العمل على العودة بها إلى ما كانت عليه أيام دخلها الشريف التلمساني فقال: "دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها".

وختاما فإنه لا يسعني إلا أن أذكّر بواجبنا نحو هؤلاء الأعلام، وهو الإخلاص لهم والدعاء لهم والسير على هديهم والتخلق بأخلاقهم المبنية على هدي القرآن والسنة كما قال ابن باديس رحمه الله في مجالس التذكير: "لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب الذي ندوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن إلى علمه وهديه، وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه والتفقه فيه وفي السنة النبوية، والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد وصحة الفهم، والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين، أمثال ابن إدريس والوغليسي وابن مرزوق والثعالبي وغيرهم من الأعلام.